(ماذا عن ليلى ؟)

المقدمة:

دائمًا ما تعود الأشعار للرجل، مثلما حدث في -ما أحب أن أسميه- ملحمة ومأساة عشقُ ليلى وقيس.

كثيرًا ما درست في مرحلتي المتوسط والثانويّ عن قيس بن الملوح عن حبه وجنونه، عن شهرته الكبيرة عند العرب، عن أبياته..

لكن ماذا عن ليلى؟ كيف نتجاهل الطرف الآخر الذي لا يقل أهمية من هذه القصة؟ ماذا حدث لليلى؟ هل بادلته الحُب؟ من هي ليلى الذي جنَّ جنونُ قيس عليها؟. لطالما تسائلت عكس أقراني في المدرسة عن ليلى ومن مثلَ ليلى، وكيف خرجن النساء عن صمتهن وأبدعن في الشعر. حتى أتذكر دراستي عن الخنساء التي رثت أخيها صقر و"يخيل إلى القارئ أن حواء العرب تظل معقودة اللسان، معطلة الحس، صماء الوجدان، إلى أن تقوم مناحة فتحل عقدة لسانها، وتتفجر ينابيع الحس في وجدانها." لماذا شِعر الدموع فقط لما الرثاء وحده، أين دور النساء في الحبّ.

ليلى العامرية

هي ليلى بنتُ مهدي بن سعد بن مهدي بن الحَريش، وكنيتها أمُّ مالكٍ.

عاشت في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان.

ولدت في عاصمة ليلى على اسمها في مدينة الأفلاج، وتصغر قيس بأربعة سنوات.

كانت ليلى شاعرة من شاعرات العرب البارزات، ولها شعرٌ محفوظ.

كانت من أجمل النساء وأظرَفهنَّ وأحسنهِنَّ عقلًا وأفضلِهنَّ أدباً وأملحهنَّ شكلًا.

القصة من جانب ليلى

نشأت وهي ترعى البهم مع ابن عمها قيس بن الملوح في فترة الصبا، ولما كبرا حُجبت ليلى عن صاحبها لتُبعد عنه لكنهما ازدادا عشقًا، وقال القيس ببيت: «صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم» وكانت في غفلة عن أهلها تسدل نقابًا على وجهها وتخرج لترى حبيبها قيس في جبل التوباد بغارٍ صغير يتبادلا الشعر والغرام كلٌ بأكمله للآخر. ما أن ذاع خبر حبهما حتى أتى قيس بأهله لأبا ليلى يسألونهُ خطبتهما، لكن على زمانهم العرب يمنعون زواج من افتضح سرهم من المحبين، لأنها عيّب في زمانهم وحتى حاضرنا لا تزال عادة مستمرة من العصر الجاهلي، كما يقال أنه هناك سبب آخر لكن لا نعلم هويته أو صحته. رفض المهدي تزويجهما ولم يصبر قيس على فراقها وأمسى وأصبح وهو يترقبها حتى زوجت اجبارًا لغيره. قيل أن ليلى تعايشت وقبلت مصيرها، لكنها لم تنس قيس وحبَّ قيس، وقيس لم يكن مجنونًا قط لكن حب ليلى أصابه في آخر حياته بالجنون. في رواية قيل أن هناك رجلًا دخل ضيفًا على امرأة وجاريتها، عندما سألته عن دياره وعن أسفاره قال أنه زار ديار بني عامر فسألته عن قيس بن الملوح، قال المجنون؟ الذي لا يفقه شيئًا ولا يلحظ سوى اسم ليلى والشعر بليلى.. فبكت عاليًا عليه حتى أغمي عليها، عندما صحوت سألها يا أمت الله ما بك ومن أنتِ؟ قالت ليلى صاحبته المشؤومة والله عليه وغير المؤنسة. قيل الكثير ولا نعلم ماحدث حقًا حتى بوفاتها قصة تحكي أنها من شوقها وحبها ماتت وعند وصول خبرها ترك الطعام حتى مات، وقصة عن أنها ماتت بعده وأنه عندما وصلها خبره ذهبت للعزاء هي وعشيرتها وبمرورها على قبره بكته حتى موتها. لقلة المصادر التاريخية لا نعرف ما حدث ولا الصحيح عن غيره. ربما حديث الناس بالغَ فيما حصل وربما ألمَّ بهم من العظيم الكثير ولم يصلنا.

أبيات ليلى

- أُخبرتُ أنّكَ مِن أَجلي جُننتَ وَقد // فارَقتَ أَهلك لم تعقل ولم تُفق

- كِلانا مظهرٌ للناس بغضًا // وكلٌّ عندَ صاحبهِ مكينُ
تبلّغنا العيون بما أردنا // وَفي القلبينِ ثمّ هَوىً دفينُ
وَأَسرار اللّواحظِ ليسَ تَخفى // وقد تغري بِذي الخَطأ الظنونُ
وَكَيف يَفوتُ هَذا الناس شيء // وَما في الناسِ تظهرهُ العيونُ

- نَفسي فِداؤك لَو نَفسي ملكت إذاً // ما كانَ غيرك يجزيها ويرضيها
صَبراً عَلى ما قَضاه اللهَّ فيك على // مَرارة في اِصطباري عنكَ أُخفيها

-لم يكنِ المَجنونُ في حالةٍ // إلّا وَقَد كنتُ كَما كانا
لكنّهُ باحَ بسرّ الهَوى // وَإنّني قَد ذبتُ كِتمانا

-باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ // وكَتمت الهَوى فمتّ بِوَجدي
فَإذا كانَ في القيامةِ نودي //مَن قتيلُ الهَوى تَقدّمت وَحدي

-أَلا ليتَ شِعري وَالخطوب كثيرةٌ // مَتى رحلُ قيسٍ مستقلّ فراجعُ
بِنفسي مَن لا يستقلّ برحلهِ // وَمَن هوَ إن لم يحفظ اللهَ ضائعُ

الخاتمة

حدثت نقلة كبيرة في العصور الآتية، وخرجن الشاعرات عن صمتهن للبوح بألمهن وعشقهن... وقد أضفن للمشهد الشعري بُعداً آخر من اللّغة والأسلوب، صورة جديدة من القوة ومن الرِّقة. كما أشيد بعدل الكلمة وحقها للنساء أيضًا. في الختام استمتعت بالبحث والكتابة عن ليلى العامرية وانتبهت على أني قد تجاهلت وجود شعر الشاعرات المسلمات لعدم انتشاره بقوة أو الحديث عن هؤلاء النسوة وحياتهن وشعرهن، لذا يجب علينا الحديث أكثر عنهن. حتى ينتبه التاريخ حالًا لحفظ قصص الشاعرات للمستقبل.

المراجع:

- ديوان مجنون ليلى/ يوسف فرحات

- المكتبة الإسلامية العامة

- د. عيد اليحيى

- مكتبة بالعربية الرقمية

- غزل النساء في الأدب العربي. مقال/ إيمان نوري

عمل الطالبة: سعاد حسن الشهري. شعبة:A31